

اسبغ عليها حساسية خاصة . ووجد القسام في جمعية الشبان المسلمين التي تألفت في حيفا عام ١٩٢٧ فرصة لتوسيع نطاق علاقاته بالناس ، فكان رئيسها وحامل لوائها ويقول رشيد الحاج ابراهيم « لعل القسام هنا بدأ في ممارسة ما كانت نفسه تتوق اليه ، وهو ان ينشئ عصابة بعد عصابة من اهل الايمان بهدف الثورة يوما ما » . واداء بالقسام بعد عدة سنوات يكون عصابة سرية شرطها الاساسيان ان يقتني العضو السلاح على حسابه الخاص وان يتبرع بما يستطيعه لهذه العصابة ، وكان بعض افراد هذه العصابة من جمعية الشبان المسلمين وبعضهم الاخر من خارج هذه الجمعية (٢) .

وكان الشيخ القسام ذا شخصية جذابة ، حسن السيرة والمعاشرة ، محدثا لبقا وخطيبا بارعا ، وابتدا يخرج الى القرى منذ عام ١٩٢٩ عندما عين مأذونا شرعيا من قبل المحكمة الشرعية فكان بمقتضى هذه الوظيفة يحضر حفلات الاعراس ، مما اعطاه فرصة لدراسة نفسيات الجماهير ، وكان القسام يتصل بسائر طبقات الشعب لا فرق بين متدين وغيره ، اعتقادا منه ان اصلاح المستهترين اولى من اصلاح غيرهم ، وكان هذا الاسلوب محل انتقاد موجه اليه من بعض الشخصيات ، حتى انه جرت بينه وبين بعض المثقفين مناظرات في هذا الصدد ، مثل تلك التي حدثت مع الشيخ صالح الحوراني ، فكان يفحم خصومه ، وقد ذكر الكثيرون من اخوان الشيخ القسام انه كان يرافف المسلمين وهو يخطب فوق منبر المسجد ، ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد الى زيارته في منزله ، وتتكرر الزيارات حتى يقنعه بالعمل لانقاذ فلسطين مما يهددها من أخطار ، ضمن مجموعات سرية صغيرة لا يزيد عدد افراد كل منها عن خمسة افراد ، وكان القسام يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان ، فكان لا يبوح بالسر الكبير الذي يحمله وهو الدعوة الى الثورة لمنع اقامة وطن قومي يهودي في ارض فلسطين الا لاشخاص قلائل بعد ان يدرس نفسياتهم دراسة كافية لمدة قد تطول عدة سنوات . واستمر القسام يعمل بكل الوسائل لتأسيس نواة صالحة من عرب فلسطين ، بهيئته للانطلاق في الوقت المناسب نحو الثورة (٣) .

وكان القسام يحس بخطر الاستعمار والصهيونية ، فكان يدعو الى اتحاد الكلمة ولم الشعب وكان يبث روح الوطنية في النفوس ، داعيا الى الوحدة مناديا بالعودة الى تعاليم السلف الصالح ، منددا بالفرقة منذرا قومه بعواقب الشقاق والتمزق (٤) . وانفق مع بعض الخالص من اصدقائه على حمل راية الثورة ، وتعاهدوا على ان يقدموا حياتهم فداء على مذبح الوطن ، ليعطوا لابناء امتهم درسا بليغا في التضحية (٥) . وكان القسام ينتقي اصحابه من اهل الدين والعقيدة الصحيحة ويقوم بتدريبهم في رحلات ليلية ، كما كانوا يقومون بحركات استطلاعية يتمرنون في اثنائها على اصابة الهدف (٦) . وبيروى صبحي ياسين ان القسام كان يقسم اخوانه الى عدة وحدات عسكرية منظمة : وحدة خاصة بشراء السلاح ووحدة للتدريب العسكري ووحدة للتجسس على البريطانيين والصهيونيين ووحدة للدعاية للثورة في المساجد والمجمعات ووحدة للاتصالات السياسية ، وهذا كله برغم امكانياته المحدودة ورغم مراقبة السلطة لسائره تحركاته (٧) .

وكان القسام يهتم بنشر مبادئه الحرة بين العمال والفلاحين والباعة الذين كانوا يحضرون دروسه (٨) . كما كان متصلا بأوساط العمال في حيفا ، وكانت روحه وعظاته منسجمة مع فكرة الجهاد ووجوبه ، وكان بارعا في الوعظ نافذا به الى اعماق النفوس . وتكونت حوله حلقة جهادية متدينة من هذه الطبقة (٩) . وكان القسام يلوم العلماء على تهاونهم في الدعوة الى الجهاد وحملهم مسؤولية الوضع الجائر الذي كانت تنوء فلسطين تحت اثقاله ، وكان يردد على شفتيه في كل مناسبة آيات من كتاب الله تتعلق بالجهاد والاستشهاد (١٠) . ولم يكن الشيخ القسام بالمتسرع او المنذم ، فقد جاوز الستين من عمره ، كما انه زوج واب لبضع بنات واطفال صغار ، وهو فوق ذلك عالم مفضل